الجوهر الفرد

اتفق جمهور المتكلمين[١] وطائفةٌ من الحكماء المتقدمين على ان كل جسم مركب من اجزآء لا تتجزأ بالفعل ولا بالوهم تسمى بالجواهر الفردة وهو الذي عليهِ اصحاب الكيمياء الحديثة والعلم الطبيعي . لكن اختلف المتقدمون في شكل الجوهر الفرد فقال المتكلمون انهُ لا شكل لهُ لان الشكل عبارةٌ عن احاطة حدٍّ واحد وهو الكرة او حدودٍ وهو المضلَّع ولا يُتصور ذلك الا فيما لهُ جزء . وقيل بل يشبه الكرة اذ لا تختلف جوانبهُ كما أن الكرة لا تختلف جوانبها . وقال بعضهم يشبه المربَّع اذ يتركب منهُ الجسم بلا خلوّ الفُرَج لان الشكل الكرويّ وسائر المضلَّعات وما يشبهها لا يتأتى فيها ذلك الا بفُرَج . وقال آخرون هو يشبه المثلَّث لانهُ ابسط الاشكال المضلَّعة . ولا يخفى ان مبنى هذه الاقوال كلها على ان جميع جواهر الجسم متصلة لا خلاء بينها لكن الذي حققهُ المتأخرون ان الجواهر مهما تلزز بناء الجسم واشتدّ تكاثفهُ لا تماسّ ولكنها متباعدةٌ بعضها من بعض خاضعةٌ لقوّتي الجذب والدفع المتبادَلين وهما المعبَّر عنهما بقُوَى الدقائق وجميعها تتحرك حول مركز توازنها

ثم ان الجواهر يتألف بعضها مع بعض بهيئة مجاميع مرتبطة بالقوى المذكورة يسمَّى كل مجموعٍ منها دقيقة وهي آخر ما يمكن تجزئة الجسم اليهِ بالذرائع الصناعية . واما هيئة تركبها فقد اختلف فيهِ المتقدمون فقال

(١) المراد بالمتكلمين اصحاب علم الكلام وهو كما عرّفوهُ علمٌ يُقتدَر معهُ على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشُبَه

بعضهم اقلّ ما يتركب الجسم منهُ يعني الدقيقة ثمانية اجزآء وذلك بان يوضع جزآن فيحصل الطول وجزآن آخران على جنبهما فيحصل العرض واربعة اخرى فوقها فيحصل العمق . وقال غيرهُ من ستة بأن يوضع ثلاثة على ثلاثة . وقيل يمكن من اربعة اجزاء بان يوضع جزآن وبجنب احدهما جزءٌ ثالث وفوقهُ جزءٌ آخر وبذلك تحصل الابعاد الثلاثة . وهذا ايضاً كما لايخفى مبنيٌّ على ان جواهر الجسم متماثلة ولكن مدار النظر في تركبها على القدر الذي تحصل منهُ الابعاد المذكورة . الا ان المتأخرين نظروا الى غير ذلك فانهُ لما كان اكثر الاجسام مركباً من عنصرين فما فوق جعلوا نظرهم في كيفية هذا التركيب ومقدار ما يدخل الدقائق من كلٍّ من انواع الجواهر التي يتألف منها الجسم كالمآء مثلاً فانهُ يتركب من جوهرٍ من الاكسيجين وجوهرين من الهدروجين . والاجسام في ذلك تختلف كثيراً فانها تتركب من عنصرين فاكثر مع تكافؤ عدد الجواهر النسبيّ او اختلافهِ ومتى اتحدت جواهر جسمين على هذا الوجه نشأ عنها جسمٌ آخر يخالف الجسمين المركب منهما ذاتاً وخصائص كالمآء المتولد بين الغازين المذكورين وكل جوهرين اتحدا اتحاداً كيماويًّا لا يمكن فصل احدهما عن الآخر الا بالوسائط الكيماوية

ثم ان هذا التركيب يتمّ بان ينتظم احد الجوهرين او الجواهر الى غيرهِ على وضع مخصوص . وخصائص الاجسام تتغير بحسب ما تتألف منهُ من الجواهر المختلفة وتبعاً لهيئة انتظام تلك الجواهر وموقع بعضها من بعض ولذلك فان بعض الاجسام المركبة مع اتفاق العناصر الداخلة في

تركيبها ذاتاً وعدداً قد تختلف مركباتها شكلاً وخصائص ومن امثلة ذلك الزُنجُفر المركب من الكبريت والزئبق على نسبة متكافئة فانهُ اذا اتُّخذ بطريق التصعيد جاء لونهُ احمر ناصعاً واذا اتُّخذ باحماء الكبريت والزئبق او بحلّ الزئبق وترسيبه في الحامض الهدروكبريتيك جاء اسود حالكاً والتركيب في كلتا الحالتين واحد

على ان معاصري الكيماويين يذهبون الى ان الاجسام البسيطة ايضاً مؤلفة من دقائق كالاجسام المركبة الا ان هذه الدقائق مؤلفة من جواهر متماثلة وهي قد تختلف في الوضع ايضاً ولذلك قد تتبدل اعراض الجسم تبعاً لانتظام جواهرها واختلاف وضعها كما يُرَى من اختلاف الهيئة والخصائص بين الأُسرُب (البلمباجين) والالماس وكلاهما من صافي الكربون

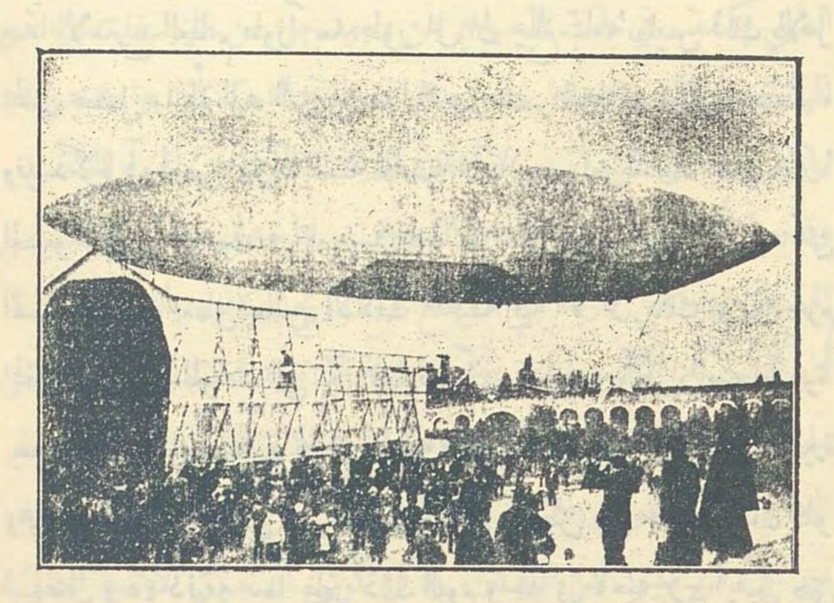
اما حجم الجواهر الفردة فما لا سبيل الى معرفته وليس في الذرائع العلمية ما يمكن التوصل به اليه على وجهٍ محقق غير ان التجارب والمشاهدات دلّت على انهُ بالغٌ من الصغر الى ادقّ ما يمكن ان يقع في التصوُّر ونحن نذكر هنا بعض الامثلة على ذلك . فمنها انهم بلغوا في طرق الذهب الى اتخاذ رقائق منهُ لو نُضّد عشرة آلاف منها الواحدة فوق الاخرى لم تزد ثخانة مجموعها على ميليمتر واحد . ومنها انهم قسموا مسافة ميليمتر على قطعة من الزجاج الى الف جزء متساوية ووجدوا من النقاعيات ما يبلغ من الصغر ان جسمهُ بجملته اذا وُضع بين جزأين من هذه الاجزاء يبقى غير مماسّ لهما فيكون قطر جسمه اقلّ من واحد من الف من الميليمتر ثم ان هذه النقاعيات مؤلفة من اعضاء واعضاؤها مركبة من حويصلات وهذه

الحويصلات مؤلفة من دقائق والدقائق من جواهر . ومن ذلك انهُ اذا أُخذ ٢٠ سنتيمتراً مكعباً من الزيت واريقت على وجه بحيرة تنتهي الى ان تغطي ٤٠٠٠ متر مربع بحيث ان طبقة الزيت الممتدة على هذا الاتساع لا تكون ثخانتها الا جزأين من مئة الف جزء من الميليمتر . ثم ان التحليل الطيفي يكشف في لهب المصباح عن وجود جزء من مليون جزء من الميلغرام من الصوديوم . وقد وُجد ان حاسة الشمّ تتأثر بواحد من ٦٤ مليون جزء من الميلغرام من هدروكبريتات الايثير في الهوآء المتنفَّس . وقدّر رّينلد ورُوكر ثخانة فقّاعة الصابون بما يعدل جزءًا من الف من الميليمتر . وامتحن اللرد رّيلي ان يمنع ثوران ريح الكافور بالزيت فثبت لهُ ان كل حركةٍ للكافور تتوقف تحت طبقةٍ لا تزيد ثخانتها على جزأين من مليون من الميليمتر وهي غاية ما وصل اليهِ الاختبار من قياس صغر الدقائق . اما الجواهر فلا بدّ أن تكون اصغر من ذلك ايضاً فتكون اقلّ من جزءٍ من مليون من الميليمتر . وذكر كُوشي ان تفرُّق الاشعة الضوئية على ما تُرَى في المنشور يقتضي ان لا يتعدى الجوهر جزءًا من مئة مليون جزء من الميليمتر . وقد انتهى اكثر المحققين من الطبيعيين والفلاسفة الى ان الجواهر الفردة لا امتداد لها وانما هي نقطٌ هندسية غير انها قابلةٌ لأن تتحرك وتتفاعل تفاعلاً ميكانيكياً فهي مراكز للقوى وامتداد الاجسام ليس الا عبارة عن المسافات التي تفصل بعض الجواهر من بعض والله اعلم

الملاحة الجوية

نستأنف الكلام على هذه المسئلة الخطيرة عوداً على ما تقدم لنا من نقل اهمّ ما تنتهي اليهِ حيناً بعد آخر ليكون قرآؤنا على بيّنةٍ من استقرآء هذا الاختراع العظيم طوراً بعد طور الى ان يبلغ تمامهُ وليس ذلك بالامر المحال بفضل ما بلغ اليهِ العلم في هذا العصر عصر العجائب والاختراعات . وقد ذكرنا في بعض اجزآء السنة الماضية ما كان من امر المنطاد الذي طيّرهُ المسيو سنتوس دومون في باريز في اواسط شهر يوليو وما اصابهُ فيهِ من الفشل بسبب تعطل بعض الآلات الدقيقة فيهِ الا ان ذلك لم يثنِ عزم المخترع عن تعهد المواضع التي تبيَّن فيها نقصاً في اختراعهِ وتكرار امتحانهِ مرةً بعد اخرى الى ان استتبّ لهُ على الوجه الذي ارادهُ . وقد طيّرهُ المرة الاخيرة وهي السابعة في ١٩ من شهر اكتوبر الماضي فنهض من حديقة سان كلو لساعتين و ٤٥ دقيقة بعد ظُهر ذلك اليوم واخذ في ناحية برج أيفّيل حتى انتهى اليهِ ودار حولهُ في ٨ دقائق و ٤٥ ثانية . الا انهُ عند رجوعهِ كانت الريح مضادّةً لاتجاههِ فلم يبلغ المكان الذي نهض منهُ الا بعد ٢٠ دقيقة و ٣٠ ثانية فكانت مدة سياحتهِ هذه ٢٩ دقيقة و ١٥ ثانية اي اقل من المدة التي سماها صاحب الجائزة بخمس واربعين ثانية . غير انهُ عند ادراكهِ ذلك الموضع كان مرتفعاً كثيراً لانهُ خاف ان يعلق بهِ شيء من رؤوس الاشجار التي كانت تحتهُ فلما بلغهُ عطف نازلاً حتى وصل الى الارض فاقتضت هذه الحركة الاخيرة دقيقة و ٢٥ ثانية بحيث كانت جملة المدة التي قطعها في

هذه السياحة ٣٠ دقيقة و ٤٠ ثانية فكان هذا البطء اليسير موجباً لتوقف اللجنة الموكلة بالجائزة عن اطلاقها لهُ تبعاً لما رُسم لها من ان لا تزيد المدة على ٣٠ دقيقة الا ان صاحب الجائزة قضى لهُ باستحقاقها فنالها . وهذه صورة المنطاد في هذه الرحلة الاخيرة نقلاً عن رسمٍ مأخوذ عن الفوتغرافية



على انهُ مع ثبوت الجائزة لصاحب هذا المنطاد وما بلغ اليهِ من سهولة اقتيادهِ واجرآئهِ على السرعة التي توخاها لا يقال ان فن الملاحة الجوّية قد بلغ تمامهُ وان كان ما وصل اليهِ هذا المخترع قد كشف شيئاً من غوامض اسرارهِ وقرّب المسافة على المشتغلين بهِ لانهُ لو كانت الريح اشدّ مما كانت عليهِ قليلاً لما استطاع مقاومتها وتقدير سرعة منطادهِ على الزمن المفروض . وذلك ان المرجع في هذه المسئلة الى التمكن من مقاومة الريح لا الى كيفية تسيير المنطاد وتوجيههِ تبعاً لمشيئة الراكب فان ذلك يتمّ بالسكّان

(الدفة) كما يتمّ توجيه السفينة في البحر وقد سبق سنتوس عدة مخترعين امكنهم ان يبلغوا ما بلغهُ منهم جيغار وتيسنْديَاي ورِّينار وكَرَبْس وغيرهم وقد استخدم بعضهم البخار وبعضهم الكهربائيّة الا ان كل واحد منهم كان يتمكن من قيادة منطادهِ على هواهُ ما دام الهوآء راكداً ولكن اذا هبّت الطف نسمةٍ كانت تصدمهُ فتحوّلهُ عن وجهتهِ او تردّهُ الى الورآء . وكان اقوى هذه المناطيد على مكافحة الرياح ما كانت قوة محركهِ تعدل قوة ثمانية او تسعة افراس غير انهُ كان اذا تجاوزت سرعة الريح ستة امتار لم يثبت في وجهها . وسبب ذلك ان الهوآء الراكد لا يضيع شيئاً من سرعة المنطاد ولكن اذا هبّت الريح في وجههِ دفعتهُ الى الورآء بمقدار سرعتها وتقدم المنطاد بمقدار سرعتهِ فكان تقدمهُ بمقدار الفرق بين السرعتين فمثلهُ في ذلك مثل الزورق في النهر فانهُ اذا تقدم في الثانية متراً مثلاً ودفعهُ النهر مترين الى الورآء كان مع تقدمهِ متراً يذهب الى الورآء متراً

على ان الرياح قلما تتجاوز في سيرها ١٤ متراً فاذا كان في المنطاد قوةٌ على ان يجري بهذه السرعة امكنهُ ان يثبت في وجهها واذا ضعفت سرعتها عن ذلك امكن ان يخترقها غير مبالٍ . غير انهُ لتبليغهِ هذه السرعة لا بد ان يزداد ثقلهُ وذلك يستلزم الزيادة في حجم المنطاد فيلزم زيادة صفق الريح لهُ واستحكامها منهُ . وحينئذٍ لم يكن بدٌّ من تخفيف ثقل المحرّك الى آخر حدٍّ يمكن بحيث لا يلزم عنهُ تكبير حجم المنطاد وهذا ما حاولهُ سنتوس دومون على ما قدّمنا الكلام عليهِ في محلهِ فانهُ اتخذ لهُ محركاً يدار بخلاصة زيت البترول فكان لهُ منهُ محرّكٌ قويٌّ خفيف الوزن وجعل شكلهُ مغزلياً

مستطيلاً اقتداءً بما فعلهُ جيفار من قبلهِ . ولهذا الشكل مزيةٌ على الشكل الكرويّ بسبب انحسار جانبهِ المعرَّض لمصادمة الريح فانها على الغالب لا تتمكن منهُ زيادةً على تمكنها من منطادٍ كرويّ يعدل قطرهُ اقصر قطري المنطاد المغزلي . ولكي يثبت على شكلهِ جعل في جوفهِ نفّاخةً اي منطاداً صغيراً يملأهُ هواءً وتتصل فُوَّهتهُ بالهواء الجوّي على نحو ما شرحناهُ في الكلام على منطاد فِرمّين بوسُّون وكلاهما اقتدى في ذلك بجيفار . الا انهُ مع ذلك لم يزل غير وافٍ بالحاجة لان معظم سرعتهِ لا يتجاوز ستة امتار الى ستة امتار ونصف فاذا هبّت الريح بما هو اقوى من ذلك قليلاً دفعتهُ امامها فاصبح أُلعوبةً لها كما تشاء . ولذلك لا يُعَدّ الا بمنزلة نموذج لما هو اكبر منهُ اذ الاعمال انما تُمتحَن صغيرةً فاذا صحّت قدّر ان تصح الكبيرة مثلها وهذا وجه اعجاب القوم بهِ وتعلُّق آمالهم بالاستيلاء على اعنّة الملاحة الجوّية . ومن هنا تعلم السرّ في تعيين الزمن الذي قدّرهُ المسيو دُويتش لقطع هذه المسافة وبذلهِ في ذلك هذه الجائزة الكبيرة ولعلهُ لا يمضي طويل زمنٍ حتى نسمع بصنع مناطيد تخترق عباب الجوّ كما تخترق بوارج الاتلنتيك لجج البحار

الموسيقى في العلاج

لا يجهل احد ما للنغم من التأثير على العصب بالتسكين مرةً والتهييج اخرى حتى ان الجندي يقتحم الموت غير مبالٍ والطفل ينام والبعير يَنشَط على صوت الحادي الى غير ذلك مما هو مشهور . وقد تنبه الناس من عهدٍ

بعيد لاستخدام النغم في معالجة بعض العلل العصبية والعقلية واقدم ما يُروَى
من ذلك ما كان من امر شاول ملك بني اسرائيل حين تخبّطهُ روح السوء
وكان داود يضرب لهُ بالعود فيجد رَوحاً

ويُروَى عن فيليب الخامس احد ملوك اسپانيا انهُ اعتراهُ مسٌّ وكانت
الملكة تـلم شدة ميـلهِ الى السماع فارسلت الى فارينلّي الموسيقي الشهير في
مدريد تستقدمهُ واقامت لهُ مجلس سماع في دار تجاور مقام الملك فلما سمع
الملك اول فصلٍ من غنآئهِ حصل عندهُ تنبُّه كمَن استيقظ من نومٍ عميق
وفي الفصل الثاني طَرِب وارتاح وامر بان يؤتى بفارينلّي الى حضرتهِ وبعد
ما غنّى بين يديهِ اثنى عليهِ وجاملهُ وامرهُ ان يقترح عليهِ ما يتمنى . وكان
فارينلي قد لُقّن من قِبَل الملكة فسألهُ ان يأذن في حلق عارضيهِ والباسهِ
ملابسهُ وان يحضر في مجلسهِ وكان الملك ممتنعاً من ذلك من مدة طويلة
فاجابهُ الى ما سأل ومذ ذاك اخذت تنجلي تلك السحابة عنهُ وهو كل
يومٍ يسمع غنآء فارينلي حتى عاد الى تمام رشدهِ

وذكر الدكتور بتَشْنِسكي من اطباء بطرسبرج ان وليدةً لها من العمر
اربع سنوات كانت تُزعَق اي تخاف بالليل فاشار على ذويها ان يعالجوها
بالغنآء فكانت امها تجلس بجانب سريرها وتغنّيها بصوتٍ منخفض فلا
تلبث ان تسكن الى صوتها وتنام ولم يأتِ على ذلك شهرٌ حتى شُفيت تماماً .
قال ولكن ليس كل النـاس في ذلك سوآءً فان منهم من لا يسكن الاّ على
الصوت المنخفض ومنهم على العكس فينبغي ان يُراعَى في ذلك سجية العليل

واشهر من زاول معالجة الامراض بالنغم في هذا العهد طبيبٌ اميركاني

يقال لهُ ليونار كورننغ وطريقته في ذلك ان يُضجِع العليل على وسادة مستلقياً على ظهرهِ ويظلّلهُ بخيمةٍ لا منفذ فيها فيكون ما تحتها مظلماً ويجعل في رأسهِ كُمّةً من جلدٍ لين قد نيط الى جانبيها مِسمعتان يجعلهما على اذني العليل ويتصل بهما سلكان يفضيان الى فونغراف ويرسل عند اسفل الوسادة حجاباً ابيض يستقبل عليهِ صور اشباحٍ مختلفة بواسطة الفانوس السحري فاذا تمّ اضجاعهُ على هذا الوجه اعمل الفونغراف ووجّه الفانوس الى الحجاب فيسمع العليل انغاماً لطيفة وتترادف امامهُ صور الاشباح والالوان البهيجة وبتوارد هذه المؤثرات على سمعهِ وبصرهِ لا يلبث ان يدبّ النعاس في عينيهِ ثم ينام نوماً هنيئاً يتخللهُ احلامٌ طيبة ومناظر جميلة ويقول الطبيب المذكور ان تكرار مثل هذا على العليل مراتٍ قليلة يؤدي الى الشفاء

وفيما حقق بعضهم أن للسماع تأثيراً على دورة الدم وقد عُني باختبار ذلك اثنان من علماء الفرنسيس يقال لهما المسيو بيّناي والمسيو كورتيّيه فأيّدا هذا القول وذكرا ان اعظم الانغام تقويةً لدورة الدم اكثرها الفةً عند العليل واذا كانت من الانغام المفرحة دقّ معها النبض وقوي ازدواجهُ وبعكسها الانغام الشجية فان النبض معها يكون عريضاً لتأثيرها على العصب الممدّد للاوعية وقد وجدا ان معدَّل الذين يتأثرون بالنغم ٧ من ١٠

وقد نُقل عن اوميروس وبلوطرخس وتيوفرَسْت ان الموسيقى تشفي من الطاعون والرثية ولدغ الهوامّ وزعم قومٌ من المتأخرين منهم ديمربُروك وبُونّيت وكِرْخَر انها تشفي من السلّ والنقرس والكَلَب وذهب غيرهم الى ابعد من ذلك فزعم پورتا انهُ اذا اتُّخذت المعازف من خشب بعض

العقاقير الطبية وضُرب بها على سماع العليل فعلت فعل العقّار نفسه ولا يخفى ما في ذلك كلهِ . والذي عليهِ علماء منافع الاعضاء اليوم ان النغم لا يخلو من تأثير على اصحاب الامراض العصبية والعقلية لكن في رأي بعضهم ان هذا التأثير ليس من قِبَل النغم لذاته ولكنهُ ينشأ عما يصحبهُ من الاهتزاز الذي هو علة اكثر الحوادث الطبيعية وقد اختبر ذلك المسيو لابُورد وهو ممن اشتهر باستخدام النغم حتى في قلع الاضراس فوضع رجلاً معتوهاً بحيث يتأثر باهتزازات كمنجة عن قرب حتى كانهُ هو نفسهُ يعزف بها فكان لذلك عليهِ تأثيرٌ اعظم جدًّا من تأثير النغم المسموع عن بعد والله اعلم

خبايا الزوايا

اوردنا في الجزء الثالث من هذه السنة فِقراً حكمية من كتاب ايليا النسطوري مطران نصيبين في القرن الحادي عشر للميلاد وهي كما رآها المطالع من رائق الانشاء ومحكمهِ لا تنحطّ عن اعلى طبقات الكلام في ذلك العصر الذي هو عصر الفصاحة الاسلامية ووعدنا ان ننشر ما تصل اليهِ يدنا من مثل ذلك بياناً لما كانت عليهِ اللغة في ذلك العهد من عموم الانتشار وتنازع الجميع فيها كؤوس الفصاحة على السوآء . وقد قرأنا في تاريخ البطاركة الانطاكيين للخوري ميخائيل بريك الكتاب الآتي من اغابيوس بطرك انطاكية الى أنبا اليا بطرك الاسكندرية وكان قد كتب اليهِ عند توليه البطركية سنة ٣٦٧ للهجرة (وهي سنة ٩٧٧ للميلاد) يسألهُ

التقدم الى اهل عملهِ برفع اسمه في الكنائس على ما جرى بهِ الرسم وانفذ الكتاب على يد راهبٍ من قِبَلهِ فلما انتهى الكتاب الى انبا ايليا كتب اليهِ جواباً ينكر عليهِ انتقالهُ من كرسي حلب الى كرسي انطاكية في كلامٍ لا موضع لهُ هنا فاجابهُ بما نسختهُ

بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين

كتابي ايها الاب الروحاني المشارك في الخدمة المساوي في الرتبة المتحد في الروحانية من الكرسي السليحي بمدينة الله الفائزة بفخر اسمهِ المحفوظة بتلميذهِ واول رسلهِ يوم السبت السابع من كانون الاول عن سلامة بيع الله المقدسة واولادها قبَلي وسلامتي من بعدهم والحمد لله على ما منّ واولى وهو المسؤول ان يتمم اسبال سترهِ على هذا الشعب وكمال نعمتهِ على هذه الامة قبَلي وقبَلك وقبَل كل راعٍ استرعاها في كل موضعٍ ارتضاهُ بمنهِ وكرمهِ

ثم وصل كتابك ايها الاب الروحيّ الطاهر على يد انبا يوحنا الراهب المنفَذ من مسكنتنا الى قدسك وأحطت علماً بمشتملهِ وسررت باخبار سلامتك وما استدللتُ عليهِ من الاستقامة قبَلك ثم طار بعد ذلك فكري وتعسف ذهني وذهل عقلي وتقطعت خواطري متأملاً ما كتبتهُ ومتحيرًا فيما اجبت بهِ ولا ادري ما السبب الذي حملك على دفع غير مدفوع وانكار غير منكر والاحتجاج بما لا يساغ وفعل ما لا يليق . وقد كان ينبغي اذ عرفت موضع ابتدآئي وايثاري التبارك بمشاهدتك وانفاذي رسولي اليك في وقتٍ يكاد ان يتعذر فيهِ عبور الطيور من جهتنا الى جهتكم فضلاً عن الكتب والرسل ألاّ تكتب بما كتبت بهِ دون ان تحقق انك فيهِ على حق لا يُبطَل وحجةٍ لا تُدفع وصوابٍ لا يُنكر وقاعدةٍ لا يُنسب الى اهلها هوى ولا غيّ ولا قصد ولا حال من الاحوال التي قدسك متبرئ منها ومترفعٌ عنها . واما أن تذكر ايها الاب الروحاني انقباضك عما صار اليهِ حالي وقلقك مما جرى عليهِ امري وايثارك الموت دون السماع بمثلهِ فهذا ما كان يليق اذ لم يجرِ

بحمد الله هنا اراسيس ولا فساد مقالة ولا نقض سنّة ولا حالةٌ غير معروفة والذي جرى هو امرٌ صَغُرَ حالي عنهُ و بَعُدَ موضعي منهُ لارتفاعهِ عني وعظمهِ عليَّ وقلة قيامي بهِ وتفاوت نقص استحقاقي لهُ الا انهُ لم يكن مني ولا اتى بسعيي وانما هو ما اختارهُ اصحابي ورضي بهِ شعبي وامضاهُ رؤساآء الدولة وعرفهُ علمآء الملة من المدينة العظمى التي عليها يعوَّل ومنها يُقتبَس وكيف يجوز ان ينكر واحدٌ ما يجتمع عليهِ هذه الطبقة وترضى بهِ هذه الامة وهو امرٌ مشهورٌ عندنا ومستعملٌ بيننا من قديم الزمان الى حيث انتهينا

والذي ذكرت ايها الاب الروحاني في هذا الباب انا اعلم انك لم تذكرهُ الا لبعد العهد بهذا الحال ولعدم الكتب التي تنبئ بمثلهِ في ناحيتك ولقلة من يستعملهُ ويقبلهُ في موضعك للاحوال التي دُفع اليها اهل تلك الديار مما نسأل الله المعونة عليهِ . واذا انت رجعت للفحص عن ذلك وجدتهُ امرًا لم يبدأ منا ولا يتناهى فينا ووجدت البطرك افسطاتيوس القديس قد انتقل من اسقفية حلب الى بطركية انطاكية ووجدت ملاتيوس منقولاً من اسقفية اريصا الشام وهي الرستن الى حلب ومن اسقفية حلب الى بطركية انطاكيـة وقد حضر في المجمع الثاني بالقسطنطينية وهذا المجمع نقل غريغوريوس الثاولوغوس من نزينز الى كرسيّ البطركية بها ووجدت افدوكسيوس قد ُنقل من اسقفية مرعش الى بطركية انطاكية ومنها الى بطركية القسطنطينية ووجدت افسافيوس قد نقل من بيروت الى نيقوميدية ومنها الى القسطنطينية ووجدت آخرين منقولين من مواضع عدة الى غيرها . هذا بعد مار بطرس السليّح الذي هو اساس البيعة ورأس الشريعة ومُقامهِ اثنتي عشرة سنة بانطاكية وانتقالهِ بعد ذلك الى رومية وكفاك من شاهدٍ ولو اردنا المزيد على ما ذكرناهُ لطال بنا القول ولكنا اكتفينا بقليل من كثير ليكون قدوةً يقتدَى بها واصلاً يُرجع اليه وطريقًا تفسح لك في قبول القول ورفع الاسم لا سيما مع علمك بأن هذا ليس مما تدعو اليهِ حاجةٌ ضرورية وانما يراد بهِ اتحاد البيع المقدسة بالروحانية ومن طلب ان يتحد مع قدسك ويشارك في خدمتك فليس يجوز ان تنفرد عنهُ بالحجج

التي احتججت بها ويقوم البرهان بصحة غيرها من ذلك

وتشبيه هذا الامر بمن تزوج ابنةً ثم تركها واخذ امها فقد ارتفع الكهنوت الالهي عن ان يشبه بالتزوج البشري ولو كان الامر كذلك لكان اذا توفي اسقف وكان لهُ اخٌ يستحق الرئاسة لا يجوز لهُ ان يأخذ موضعهُ كما انهُ لا يجوز للاخ ان يأخذ زوجة اخيهِ بعد وفاتهِ . والتشبيه بمن طلق امرأتهُ واخذ غيرها يبعد ايضاً عما نحن فيهِ ولا يليق ان يشبه بهِ والا لم يكن بالجائز المدينة ان يصير عليها اسقفان كما لا يجوز للمرأة ان تتزوج برجلين معاً . فاما قول السيد المسيح ان من طلق زوجتهُ فقدجعلها زانية ومن تزوج مطلقةً فانهُ يزني فلم يكن مقولاً على الكهنوت وانما كان كلامهُ مع اليهود لما حضروا مجرّبين لهُ فاراهم بعد طباعهم عما يوجبهُ ناموس الطبع اللطيف والعقل الحصيف من المحافظة على الزواج البشري والتمسك بحبلهِ لاجل أن الاثنين قد صارا جسداً واحداً كما قال الكتاب وان كان الامر كذلك فاية مناسبة بين هذا المعنى وبين الكهنوت الالهي الذي هو درجاتٌ تتراقى من الدون الى التي فوقها . واما تشبيه هذه الدرجات بطغمات الملائكة التي تحفظ كل طغمة منها موضعها ولا تتعدى الى غيرهِ فهذا ايضاً مما لا يشبه بهِ في حال النقلة والاّ لم يكن من الجائز للاناغنسط ان يرتقي ويصير ايبوديا كنًا ولا للايبوديا كن ان يصير شماساً ولا للشماس ان يصير قسيساً ولا للقسيس ان ينتقل الى ما فوق . واما تشبيها بالنجوم والكواكب وأن هذه لازمةٌ لنظامها ومواضعها لا ينتقل احدها الى موضع غيرهِ فهذا ايضاً بعيد لان الكواكب اجرامٌ غير ناطقة رتب الباري كل واحد منها في موضعهِ وجعل طبيعتهُ لا تتغير عن حالها واما الانسان فانهُ جعلهُ حيوانًا ناطقًا متحركاً من حال الى حال ومن امرٍ الى امر والخليق بهِ ان يكون انتقالهُ الى ما هو اشرف وحركتهُ الى ما هو اعلى فمن هذا السبب جاز لهُ ان ينتقل وقد قامت الشواهد بهذا الحال

فاما ما التمستهُ ايها الاب الروحاني من احضار محضر من المدينة الشريفة يذكر فيهِ كيف جرت الحالة والرضى بها فلم يجرِ بذلك رسم ولا فعل هذا من تقدمني فافعلهُ انا بعدهُ ولولا تعذُّر الطريق في هذا الوقت الى ما هناك لقد كان ذلك سهلاً .

واما انفاذ خطوط كهنة الكرسي وشيوخهم بالرضى فهذا نريد ان يكون لو لم يتم الامر وحينئذٍ تكون الشبهة لاحقة في مثل هذا فاما بعد تمامهِ ومضيّ مدة سنةٍ عليهِ فانت تعلم بانهُ لو لم يحصل في الاول خطوط ويقع اجماع ورضى قبل التوجه الى المدينة المتملكة لما كان تم الامر وكان بعد تمامهِ اضطراب ولم يقع بعدهُ سكون . فنحن بحمد الله كنيستنا واحدة والمشاركة فيها من كل جهةٍ واقعة والمحبة بين اولادها تامة وليس هنا خلف ولا انفراد ولا انشقاق ولا حالٌ فيها شبهة تحتاج الى انفاذ ما التمستهُ وطلبتهُ من مثل هذا في غير موضعهِ بل الاجابة الى مثل ذلك نقصٌ وايقاع شبهة والاحقّ بالمودّة الالهية والاليق بالاحوال الروحانية ان ندع التماس ما لم تجرِ العادة بالتماسهِ والاحتجاج بما قد بطل وبمثلهِ والرجوع الى الواجب في توكيد المودّة واتمام اتحاد الخدمة والمشاركة حتى يزول الشك ويرفع سبب الفساد ولا يقع في البيعة انشقاق وانت ايها الاب الروحاني تأتي في ذلك الواجب . وقد اردت انفاذ البركة على ما جرى بهِ الرسم والعادة ولم تتأخر الا لبعد الطريق وصعوبة الوقت وانا ارصد الفرصة لانفاذها واتبارك باصدارها واني في ذلك على الرسم الذي انا قلقٌ لتأخرهِ وانت ايها الاب الروحاني تأتي في قبولها عند وصولها ما جرت فيهِ العادة التي تتبع الروحانيات ولا ينقصها تأخيرها ولا يزيد فيها تقديمها مع ابهاجي بكتابك عاجلاً متضمناً من اخبارك واستقامة الاحوال قبلك ما اسرّ بهِ ومن حاجاتك ومهماتك ما اقوم فيهِ بواجب المودّة والاخوّة الروحانية والمشاركة ان شآء الله

اسطورة هندية

ذُكر ان هذه الاسطورة رُويت في اثنتين وعشرين لغةً منها المصرية القديمة وكل طائفةٍ من اصحاب هذه اللغات تنتحلها لنفسها وتبدّل الاسماء فيها على ما يوافق تاريخها فرأينا ان ننقلها هنا تفكهةً للمطالع وهذا تعريبها بتصرفٍ يسير

كان الملك راما تشندرا من الملوك الغزاة افتتح بلاداً كثيرة وغنم ما لا يُحصَى من الاموال والجواهر فازدادت ثروتهُ حتى اضطرَّ ان يبني لها ردهةً مخصوصةً يجعلها فيها بأمنٍ من مطامع اسرتهِ وبطانتهِ

وان الرجل الذي بنى الردهة احتال بان ركَّب حجراً من حجارة الجدار على مِحوَرٍ من حديد واحكم وضعهُ بحيث اذا دُفع الحجر من الخارج يدور على المحور وينفتح بجانبهِ منفذٌ الى الردهة واما من الداخل فكل قُوَى العفاريت كانت تعجز عن قلقلتهِ . فكان الرجل بعد ذلك يختلف الى الخزينة فيأخذ منها الشيء بعد الشيء على قدر حاجتهِ بحيث ان الملك لم يشعر بشيء مما كان يفعل

ولما شاخ البنّاء واحسّ بدنوّ اجلهِ دعا ولديهِ وقال لهما اني حين بنيت الردهة لاموال الملك جعلت في احد جدرانها حجراً اذا دُفع من الخارج انفتح بجانبهِ مدخلٌ الى الخزينة وعلامة الحجر كذا وكذا فاذا عرفتما ان تكتفيا بالشيء القليل ولا تأخذا الا حاجتكما فقط كما كنت انا اصنع الى اليوم فان خزينة الملك تزداد على الدوام فلا يشعر بانكما قد اخذتما شيئاً

ولم يمضِ على ذلك الا ايامٌ حتى حُملت جثة البنّاء الى نَضَد الحطب وطفق ابناهُ بعدهُ ينتابان الخزينة ولكن بقدر حاجتهما غير انهما لم يلبثا طويلاً حتى طمحت اعينهما الى اتخاذ الاسلحة الثمينة وافيال الصيد والمفروشات الفاخرة فاخذا شيئاً فشيئاً ينسيان وصية ابيهما فاكثرا من طروق الخزينة وكانا كل مرةٍ يستصحبان معهما الثيران لحمل ما يختلسانهِ . وفي آخر الامر

تنبه راما تشندرا الى ان جواهرهُ وامواله كانت تنقص يوماً بعد يوم فطالع خازنهُ بذلك سرًّا فقال لهُ الخازن لا يعلمنَّ احدٌ بهذا الامر لئلا يتحذر السارق ولكن اتخذ لك اشراكاً من قُضُب الحديد واخفها بين صناديق الاموال فاستصوب الملك رأي الخازن وفعل كما اشار عليه

فلما كانت الليلة القابلة وفد الأَخوان على ما كان من دأبهما وكان من عادتهما ان يتناوبا العمل فيدخل احدهما الى الخزينة ويلبث الآخر في الخارج فيملأ ما معهُ من الاكياس بما يلقي اليه اخوهُ لانهما لو دخلا معاً واتفق ان يُغلَق الحجر بسببٍ من الاسباب لامتنع عليهما فتحهُ . فدخل اصغر الاخوين وما كاد يطأ داخل الردهة حتى نَشِبَ في احد الاشراك فصاح مستغيثاً فبادر اليه اخوهُ ولما لم يستطع انقاذهُ ايقن ان هلاك اخيه سيكون سبباً في هلاكه فقطع رأسهُ لكي لا يُعرَف ونجا بنفسه

ولما عاد الى منزله قصّ الخبر على امه فأعولت وولولت ومزّقت ثيابها واقسمت ان لم تُرَدَّ اليها جثة اخيه لتجري له سُنَّة الدفن لتعرّفنَّ الملك بالقاتل وسارق الخزينة . فقال لها اسكتي ايتها المرأة فانك بصياحك هذا تنبّهين الينا الجيران فاذا سمعوا الولاول قالوا هؤلآء غرمآء الملك وانا اضمن لكِ ان استخلص جثة اخي ونقيم لهُ نَضَدًا يليق به

ولما اصبح الملك تفقد الخزينة فوجد في الشَرَك رجلاً بغير رأس ونظر هنا وهناك فلم يجد اثراً لموضع دخوله فامر بتعليقه على احد ابواب المدينة وان تُوصَد الابواب الأُخر بحيث ان كل من يدخل المدينة او يخرج منها لا يكون لهُ ممرٌّ الا من ذلك الباب وامر حرّاسهُ ان يتصفحوا وجوه المارّة

فمن وجدوا عليهِ اثر كآبةٍ او انقباض قادوهُ اليهِ

فلما انقضى ذلك النهار وضرب الليل ارواقهُ عمد اخو الميت الى ثيرانهِ فرفع عليها زقاقاً قد ملأها شراباً مختمراً من لبن النارجيل وتوجه بها الى باب المدينة حتى انتهى الى الجند وقال لهم ان الملك قد بعث اليكم بهذه المكرمة جزآء حسن قيامكم على حراسة الباب . فتهلل الجند ودعوا للملك ثم تهافتوا على الزقاق واخذوا يتراهنون على ايُّهم اكثر شرباً فلم يلبثوا حتى صرعهم المسكر عن آخرهم وكان الرجل لم يبرح بحجة انهُ ينتظر ان تفرغ الزقاق فاسرع الى جثة اخيهِ وحلها ووضعها على احد ثيرانهِ واسرع في الهرب

وفي الصباح نُمي الى الملك ان الجثة قد سُرقت فاحتدم غيظاً ودعا الحرس فتهددهم بان يضرب كل واحدٍ منهم مئة جريدة ان لم يتوصلوا الى معرفة الخبيث الذي مكر بهم ذلك المكر . وكان في جملة ما سرقهُ الأَخَوان جوهرةٌ للملك كان شديد الحرص عليها لانها انتهت اليهِ من السلف وكان قد قرنها بجوهرةٍ اخرى تشبهها واتخذ منهما قرطين فأعلن ان من يستردّ لهُ هذه الجوهرة من السارق يكافأ بألف جريب من الارض بموضع كذا .

فلما كانت الليلة التالية سُرقت الجوهرة الاخرى ووجد الملك في مكانها ورقةً من النارجيل قد كُتب عليها « لابتياع نَضَدٍ من الحطب لجثة اخي »

فازداد الملك حنقاً وصمم ان لا يرجع عن طلب معرفة السارق الجريء الذي اتخذهُ هزؤاً ووعد من يدلهُ عليهِ ان يزوّجهُ بابنتهِ الاميرة راحامي ولو كان السارق نفسهُ . ثم امر ابنتهُ فجلست تحت شجرةٍ من النارجيل لتستقبل المخبرين فلم يبطئ السارق ان جآء الى الاميرة وقال لها انهُ يعرف

الرجل الذي اختلس اموال ابيها وقطع رأس اخيه وخدع حرّاس الملك واخذ جوهرة اسلافه. فقالت ومن هو هذا الرجل فقال أنا. فقبضت الاميرة على يده ونادت الحراس وكان قد خبأ يد اخيه في كمّه فأفلت منها وهرب واذا اليد التي قبضت عليها يد ميت

وكان ذلك من سعادة بخت الرجل لان الملك لما وعد بتزويج ابنته حتى للسارق لم يؤكد وعدهُ باليمين المقدسة فلما بلغهُ ما فعل ازداد اصراراً على معرفة السارق فاستأنف وعدهُ وقفّى عليه باليمين الرهيبة وبث المنادين لاعلان الامر وكان الوعد مختوماً بهذه الكلمات «ان لم أفِ بوعدي فلتُحرَم جنازتي كل احتفالٍ ديني الى الابد ولتتقمص نفسي في كل دورٍ اجساد البهائم النجسة الآكلة الجِيَف»

وعند ذلك تقدم السارق جهراً وقصّ على الملك كل ما فعل ثم قال ايها الملك العظيم اني لو لم تقسم اليمين المعظمة لم امثل بين يديك ولم تكن خُدعةٌ في العالم تستطيع ان تأخذني. فقال لهُ الملك لقد كذبتك نفسك ايها المغرور وستعلم حقيقة ذلك في الحال ثم امر بأن يُعقَد لهُ على ابنته وبعد اجراء رسم العقد نادى الحرَس وقال دونكم هذا الرجل فبادروا من فورهم وكبَّلوهُ بالحديد. ثم قال لهُ اني اقسمت على ان ازوّجك ابنتي وقد بررت لك بما اقسمت عليه ولكني لم اعد باني لا اقتصّ منك على جرائمك الكثيرة فسوف تعلم ائنّا اعظم كيداً واشدّ مكراً

فاجابهُ من غير توقف وقال كلاّ بل الزواج كما شرعهُ لنا مانو لا ينعقد ما لم تُقَد الزوجة الى منزل الزوج فينبغي ان تُفكّ عني هذه القيود وان ابقى

مطلقاً الى ان يتمّ هذا الرسم الذي لا يجري الاحتفال بهِ الا بعد ثلاثة ايام ولتعلم اني لو لم تقسم القسم الرهيب على ان تنزلني منزلة ولدك كنت اغتنمت هذه النُهزة ونجوت بكنوزي . وعند ذلك ارتفعت اصوات الاستحسان بين الحضور اعجاباً بذكاء الرجل وحضور جنانهِ والتفت الملك الى من حولهُ وقال اشهد ان هذا الرجل هو أدهَى رجلٍ في الهند

متفرقات

البارُسكُوپ — هو آلةٌ بسيطة يستعملها بعضهم للاستدلال على حالة الجوّ وهو غير البارسكوپ المعروف الذي يُختبَر بهِ مقدار ضغط الهوآء على الاجسام . يتخذ من انبوبٍ من الزجاج يُملأ سائلاً شفافاً ويُسدّ سدًّا محكماً ويركَّب عموديًّا على حائطٍ ونحوهِ . والسائل الذي فيهِ يتغير شكلهُ تبعاً لضغط الجوّ واختلاف توازن الهوآء وما يشتمل عليهِ من رطوبة وبرد وغير ذلك فيتركب فيهِ بلوراتٌ ابرية يتبدل منظرها ووضعها وتتنقل بين اعلى الانبوب واسفلهِ على ما سيُذكَر والسائل المشار اليهِ يتركب من المزيج الآتي

كحل (سبيرتو) على ٨٠°	٨٠ غراماً
ملح بارود	٦ غرامات
نشادر	٦ »
كافور	٦ »
ماء مقطر	٢٠٠ غرام

وينبغي ان يكون طول الانبوب من ٢٠ الى ٣٠ سنتيمتراً وبعد ان توضع هذه الاجزآء فيهِ يسدّ بالفلين ويُختَم عليهِ بالشمع

واما الاستدلال بهِ على حالة الجوّ فهو على ما يأتي ننسقهُ نقلاً عن احدى المجلات العلمية

اذا استقرّ المركَّب في اسفل الانبوب وبقي ما فوقهُ من السائل صافياً كان ذلك دليل الصحو

واذا ارتفع المركَّب درجاتٍ وظهر فيهِ بلوراتٌ تشبه النجوم تحرك في وسطهِ دلّ على انهُ قد يكون مطر

واذا ارتفع بعض المركب الى اعلى الانبوب وظهر بشكل ورقة نبات او غصن شجرة من البلور دل على قرب زوبعة او ريحٍ عاصف وهذه الدلالة تكون قبل اربع وعشرين ساعة . واما الجهة التي تعصف منها الريح او الزوبعة فيُستدَلّ عليها بالجهة التي يزداد فيها ارتفاع المركب وظهورهُ بهيئة بلورات وتتحقق هذه الدلالة بخلو الجهة المقابلة من البلورات

ثم انهُ في الشتآء يكون المركَّب في اعلى الانبوب واذا كانت حالة الجوّ منذرة بسقوط ثلج او حدوث جمد كان المركب بهيئة بلورات تشبه النجوم . واما في الصيف فبالعكس فان المزيج يهبط الى اسفل الانبوب ويكون السائل صافياً

علاج غريب — جآء في جريدة الارز الغرآء ما نصهُ

حدث ان ذبابةً سامةّ لدغت حضرة القس حنانيا الجاجي في رجلهِ

اليمنى وما مضى غير قليل حتى تمشى سمها في جسدهِ وتورّم رأسهُ وشعر بان احشاءهُ تستعر ناراً وكاد ان يرمي بنفسهِ الى حوض ماء كان قريباً منهُ فردعهُ بعض الرهبان واجتمع الناس جمّاً غفيراً عليهِ وفيهم الطبيب سابا طنوس موسى من اهمج فعمد الى علاج نادر في بابهِ وهو انهُ أمر باحماء تنور وغطاهُ ببلاطة وأوقف القسيس عليها وجرّعهُ الحليب وهو فاقد الهدى فتشقق جسدهُ وسال منهُ عرق ودم كاد يطفىء النار . وبينا الناس موجسون ان ينضج القسيس ويموت عاد اليهِ روعهُ وقد استمر الطبيب على معالجتهِ الى ان تعافى

كسوف الشمس

في صباح الحادي عشر من هذا الشهر كسفت الشمس كسوفاً حلقياً وكان ابتداؤهُ في القاهرة الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ والثانية ٧

وابتداء الكسوف الحلقي	» ٧	» ٥١	» ٢
ومنتصف »	» ٧	» ٥٥	» ٠
وآخر »	» ٧	» ٥٨	» ٢
وانتهى الكسوف	» ٩	» ٣٠	» ٦

وقد وردت القاهرة بعثةٌ فرنسوية لمراقبة هذا الكسوف ورصدتهُ من الجزيرة على ان هذا الكسوف لا اهمية لهُ بالقياس الى المباحث الفلكية لانهُ ليس من الكسوف التام ولذلك لا ينتظر وراء رصدهِ كبير فائدة

اجتماع السيّارة

من الحوادث النادرة ما يُرى في هذا الاوان من اجتماع السيارة كلها في جانب واحد من السمآء فان الزهرة والمريخ والمشتري وزُحَل مجتمعة كلها في صورة القوس ولما كانت الزهرة اسرع هذه الاربعة حركةً اقترنت بالمريخ في ١٠ اكتوبر الماضي وستقترن بالمشتري في ١٨ من الشهر الحالي وبزُحَل في ١٩ منهُ وفي ٢٨ يقترن المشتري وزحل وهذا الاقتران الاخير من الحوادث النادرة ايضاً فانهُ لا يحدث الامرةً في كل ٢٠ سنة . والقمر في اجتيازه صورة القوس يمرّ في ١٥ منهُ بالقرب من جميع هذه السيارة

ثم ان اورانس اليوم في صورة الحوآء (افيوكس) فهو بجوار السيارة الاربعة المذكورة والشمس في هذا الشهر تقطع برج الميزان وهو الى غربي القوس وعطارد في البرج نفسهِ الى غربي الشمس فلا يبقى منفرداً عن هذا المجموع الا نبتون ومحلهُ في برج الثور

آثار ادبيّة

مقدمة ابن خلدون — لا حاجة الى الاطناب في تعريف هذا الكتاب الجليل وما اشتمل عليهِ من سنيّ المباحث في بيان احوال الاجتماع الانساني وما يعرض فيهِ من البداوة والحضارة وطرق الكسب والمعاش وانواع الصنائع والعلوم وشؤون المُلك والدول وفنون السياسة والحرب الى غير ذلك من شوارد الفوائد مما اتى المؤلف على جميعهِ ووفى كل مبحثٍ حقهُ وافرغهُ

في احسن قالب من الفصاحة بحيث جآء انفع كتابٍ في فلسفة العمران يستفيد منهُ الباحث دُربةً وعلماً ويتحداهُ الكاتب في اساليب البلاغة والبيان

وقد عني حضرة الفاضل خليل افندي سركيس صاحب جريدة لسان الحال والمطبعة الادبية في بيروت بتجديد طبعهِ محلّى بالشكل الكامل فجآء نسخةً جميلة المثال جيدة الورق والطبع تبلغ ما يقرب من ٦٠٠ صفحة وجعل ثمن النسخة منهُ خمسة فرنكات فقط فنحضّ جمهور الادبآء على مقتناهُ ونثني على حضرة الطابع لما اتحف بهِ متأدبي العصر من هذه الذخيرة الثمينة

سياحة مصري في اوربا — اطرفنا حضرة الفاضل علي افندي ابو الفتوح بنسخةٍ من مؤلفٍ لهُ بهذا العنوان ضمنّهُ تفصيل سياحتهِ في البلاد الاوربية ما بين فرنسا وسويسرا وايطاليا فوصف ما مرّ بهِ من مدن هذه البلاد وصفاً مدققاً بذكر اشهر شوارعها وابنيتها وآثارها واخلاق اهلها وعاداتهم واطال في الكلام على باريز فذكر طرفاً من تاريخها ووصف منازلها وشوارعها وساحاتها وما فيها من حركة التجارة والصناعة وحال المدارس ودور الكتب وقصور العاديّات وردهات التمثيل وسائر الملاهي والمجتمعات ثم وصف المعرض العام بها لسنة ١٩٠٠ وصفاً مجملاً انتقل منهُ الى تفصيل فوائد المعارض ومضارّها وبين كل ذلك خواطر وفوائد شتى ادبية وتاريخية من كل ما تروق مطالعتهُ فنثني على حضرة المؤلف ثنآءً طيباً ونحضّ كل اديب على اقتنآء هذه التحفة النفيسة

فكاهات

كيف يصير الجماد انساناً [1]

وقعت اليّ القصة الآتية وهي روايةٌ واقعية نشرها المسيو لويس ارنولد في احدى المجلات الادبية وقد حضر كثيراً من وقائعها بنفسهِ كما يُعلم من سياقتها فأحببت ان اطرف بها قرآء الضيآء لما فيها من الغرابة وما تشير اليهِ من ان اعظم المستحيلات في الدنيا اذا تولاها الانسان بالبصيرة الحاذقة وزاولها بالحكمة والصبر الطويل لا تلبث ان تعنو لهُ وتصبح من الممكنات . وهناك امرٌ آخر لعلهُ اهمّ مما ذكر وهو الدلالة على ما لاخواننا الغربيين من العناية بالانسان والعمل لتخفيف وطأة البؤس عنهُ وايصال اسباب السعادة اليهِ ولو حالت الطبيعة دونهُ باوعر عقبات الشقآء وامنع اسوار اليأس عسى ان يكون ذلك محل اعتبار لأناسٍ منا يستلذّون الدعة والنعيم واخوهم الانسان مطروح بين انياب البؤس ومخالب العنآء . قال

في صبيحة اليوم الاول من شهر مارس سنة ١٨٩٥ وصل الى دير الراهبات المعروفات براهبات الحكمة ثلاثة اشخاص مسافرين وكانوا قد قطعوا ذلك الليل مشياً على القدم لانهم ضلوا طريق الدير فلم يبلغوهُ الا في الصباح . وكان هؤلآء الثلاثة من ناحية اللوار السفلى احدهم رجلٌ صانع براميل ومعهُ نسيبةٌ لهُ وهما يسوقان امامهما ابنةً تبلغ نحو عشر سنوات من العمر الا ان هيئتها كانت اشبه بمخلوقٍ وحشي وكانت دائماً قلقة مضطربة لكنها لا تتكلم ولا تسمع لان الطبيعة قد حرمتها اهمّ حواسها منذ المولد وقذفتها صمآء بكمآء عميآء تاركةً لها حسًّا واحداً وهو اللمس لتشعر بواسطتهِ بوجود مخلوقات سواها على وجه هذه البسيطة

وان اباها السيئ البخت بحث كثيراً عن ملجأ يجعل فيهِ هذه المخلوقة الشقية

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم الياس افندي الغضبان

ليخفف بعض الشيء من شقآئها فكان عبثًا يتعب لان ملاجئ الصمّ البكم امتنعت من قبولها لانها عمياء وملاجئ العميان ردّتهُ خائبًا لانها صمآء بكمآء . واخيرًا رقت لحالهِ اسرةٌ من الاغنياء فقبلتها في منزلها على سبيل التجربة لكنها لم تلبث الاّ قليلاً في دارهم الرحبة حتى رُدّت الى ابيها بحجة انها مختلة الشعور . فاشير عليهِ بان يرسلها الى ملجأ المعتوهين في مدينة نانت الا انهُ لحدة مزاجها خشي ان تزداد حالتها سوءًا فلم يشأ ارسالها . وبينما هو يفكر في امرها بلغهُ ان ابنةً لها من العمر ثلاث سنوات ونصف يقال لها مرتا اوبرخت اصيبت بالعمى والصمم والبكم لرعب اصابها في حرب سنة ١٨٧٠ التي اتقد سعيرها بين فرنسا والمانيا وان ابويها وضعاها في دير لرناي حيث علمتها واحدة من الراهبات يقال لها سنت مدول التكلم والقرآءة فما عتم ان نهض لساعتهِ هو وخالة الفتاة وتوجها بها قاصدين الدير المذكور حتى بلغاهُ في ذلك الصباح

ولما دخلا الدير علما ان الراهبة سنت مدول قد توفيت في العام الماضي لكنها تركت تلميذةً لها تسمى سنت مرغريت خلفتها في تعليم الفتاة المذكورة على نفس الطريقة التي كانت تجري عليها معلمتها وبناءً عليهِ قبلت رئيسة الدير ابنة صانع البراميل المذكور وكانت تسمى ماري هورتين وسلمتها الى عهدة سنت مرغريت

الا انهُ كان يوجد فرق عظيم بين ماري هذه والفتاة الاخرى فان ماري كانت فاقدة اهمّ حواسها منذ المولد وتلك فقدتها اذ كان عمرها ثلاث سنوات ونصفًا كما تقدم ولا يخفى ما هناك من التباين ومع كل هذا فان سنت مرغريت قبلت تلميذتها وباشرت الاعتناء بها

ولما استقرّت ماري في الدير وشعرت بمفارقة ابيها وخالتها ادركها من الوحشة ما اصبحت لهُ في حالةٍ يرثى لها فكانت دائمة القلق والاضطراب لا تذوق السكينة ولا تعرف الدعة وكانت ذات منظر مخيف ترمي بنفسها على الارض وتنقلب من جهة الى اخرى ولا تمل من الصياح واستمرت على هذه الحالة مدة شهرين كانت في اثنائهما تراعى بكل اعتناء وكانت الراهبات ينزهنها في حديقة الدير مع باقي

التلميذات الا انهُ في اثنآء ذلك كانت تأتيها نوبة عصبية فتصرعها وتلقيها على الارض خائرة مزبدة فكنَّ في الحال يحملنها ويدخلنها مخدعها بكل احتراس وبالاجمال فان هذه الشقية كانت تقاسي عذابًا احرّ من الجمر وهو عذاب نفسها المسجونة في داخلها وهو اشد المًا من عذاب الجسد

اما سنت مرغريت فمع كل هذا لم تحجم قطّ عن تعليم تلميذتها مهما كانت حالتها غريبة وكان لهذه التلميذة ولوع شديد بسكين صغير كان معها من يوم دخولها الدير فلما كانت في احد الايام اخذتهُ معلمتها من يدها فشقّ ذلك على الفتاة وظهر عليها الاغتمام فردتهُ اليها ثم انها امسكت كفيها وامرَّت حرف الواحدة على الاخرى وهي اشارة السكين عند الصمّ البكم. وبعد ساعة عادت فأخذت السكين منها ثانيةً ولما لم تردّها اليها وضعت احدى كفيها فوق الاخرى مثلما فعلت معها معلمتها تشير الى طلب السكين فعند ما رأت منها معلمتها هذه الاشارة ردّت اليها السكين في الحال وهذه اول خطوة خطتها هذه المسكينة اذ ادركت وجود نسبة بين الاشارات والمحسوسات

ومذ ذاك اخذت سنت مرغريت تتابع معها هذه الخطة وكانت قد علمت من خالتها انها تحب البيض كثيرًا فأمرت بان تعطى في كل يوم بيضة مع الغدآء. ففي احد الايام بعد ما وضعت لها الخادمة البيضة في صحنها اتت معلمتها واخذتها منهُ ومدّت ماري يدها لتأخذ البيضة فلم تجدها فانقبضت واظهرت علامات الاستيآء فامسكت سنت مرغريت بيدها وعملت لها اشارة تدل على البيضة فكررت الاشارة فردتها اليها. وعلى هذا المنوال علمتها عدة اشارات تدل على اصناف المأكولات التي كانت تقدم لها. ثم انها بعد مدة من الزمن كانت تجلسها على المائدة ولا تجعل امامها شيئًا فكانت تطلب هي بالاشارات الطعام الذي تشتهيهِ وهكذا اجتمع لها اول معجم يمكن ان تأخذ منهُ ما تعبر بهِ عن بعض اغراضها اذ كانت لها اشاراتٌ تدل كلّ منها على معنى مخصوص

ولما لم يكن في الامكان الاستمرار في تعليمها على هذا الوجه وتحميل قوة

حافظتها لكل معنى اشارةً مخصوصة رأت معلمتها ان تبتدئ بتعليمها حروف الهجآء بالاشارات التي كانوا يعلمونها للصم البكم قبل اكتشاف الدلالة على الحروف برمز الشفاه لانها لما كانت فاقدة البصر لم يكن سبيل الى تعليمها الحروف بالرمز فاخذت تعلمها اشارة كل حرف بيديها . و بعد ما اتقنت معرفة الحروف جميعها ابتدأت تركب لها مثلاً كلمة سكين من اربع اشارات مختلفة عوض الاشارة الواحدة التي كانت تستعملها قبلاً للدلالة عليها وبهذه الطريقة الجديدة استطاعت ان تفهمها اي اسم ارادت وهي تشير الى كل ما تعرفهُ

ولم تقف سنت مرغريت عند هذا الحد بل احبت ان تفتح عينيها وتعلمها القرآءة فشرعت في تعليمها قرآءة الحروف على طريقة براي في تعليم العميان وهي ان تُرسم لهم الحروف ناتئة على الورق بحيث تُدرَك صورها باللمس وبينت لها المناسبة بين هذه الحروف والحروف الاشارية التي كانت قد تعلمتها فكان هذا مما سهل عليها تناول طريقة براي في أسرع ما يمكن وهكذا تعلمت كلام الصم البكم وقرآءة العميان ولم يتم هذا الا بعد ما بذلت سنت مرغريت اقصى مجهودها مع ما اظهرتهُ ماري من الذكآء والنباهة مما لم يكن ينتظر منها

وكانت ماري الى ذلك الوقت قد تعلمت عدّة امور الا انها لم تكن تميز الا الاشيآء المحسوسة فكان من اهتمام الراهبات بعد ذلك ان يعلمنها المدارك العقلية فبدأت معلمتها ترشدها الى معرفة الصفات والتميز بينها. ففي بعض الايام ادنت منها تلميذتين من رصيفاتها الواحدة طويلة القامة والثانية قصيرتها ووقفتهما امام ماري وامرتها ان تضع يدها على رأسيهما وتلاحظ الفرق الحاصل بينهما وبمثل هذا التمرين جعلتها تميز بين الكبر والصغر . ثم ارتأت يوماً ان تجعلها تميز بين الغنى والفقر فانتهزت فرصة دخول بعض المارين الى الدير واختصت منهم واحدة من الزائرات كانت مرتدية بالملابس الفاخرة وعليها الحلى الثمينة فاستأذنتها ان تأتي ماري وتلمس ثوبها وحليها ففعلت. ثم مرّ احد المتسولين وهو حامل جرابهُ على عاتقهِ وعليهِ اثوابٌ مقطعة فاخذت ماري وجعلتها تجسّ هذا المسكين فاظهرت الانقباض من ملمسهِ

خلافًا لما كان منها عند لمسها المرأة الموسرة واشارت الى انها لا تحب ان تكون فقيرة وعلى هذه الكيفية فرقت بين الغنى والفقر

ومن مضحك ما اتفق لها انها لما رأت معلمتها ان تكشف لها الغطآء عن حالة الشيخوخة اتت بعجوز صمآء بكمآء في الثامنة والثمانين من العمر وامرت ماري ان تلمس وجهها المتغضن وتضع يدها على ظهرها المنحني وتقابل بينها و بين وجهها الاملس وقامتها المستوية كالصعدة . و بعد ما تحققت ذلك قالت لها معلمتها انها ستضحي يومًا ما مثل هذه فيتثنى جلد وجهها و يحدودب ظهرها وتحتاج الى ان تمشي على العصا . فلما فهمت الفتاة ذلك اظهرت اشد النفور والاباء وقالت لا لا اني لا اريد ان اصير مثل هذه ولكن احب ان ابقى كما انا وقالت انها متى بلغت سن الشيخوخة ستجتهد بأن تنصب قامتها ولا تنحني .فأخذت سنت مرغريت تقنعها بانها هي ايضًا و باقي الراهبات سيضحين كذلك ولما كانت ماري تود معلمتها جدًّا لم تكره اخيرًا ان يكون حظها مثل حظها ومن ذلك الحين ابتدأت تعلمها بعض الاديات الضرورية

واخيرًا رأت سنت مرغريت انهُ من اللازم ان تكشف لها عن حالة الموت فاغتنمت فرصة وفاة احدى الراهبات التي كانت تتولى ادارة المطبخ وكانت ماري مولعة بحبها واخذت تحدثها عن موتها بقدر ما استطاعت ايصالهُ الى فهمها وقالت لها انها نامت ولن تفيق من نومتها فيما بعد ولن تعود الى ما كانت عليهِ من تدبير المطبخ ابدًا . ثم ادنتها من جثتها وامرتها ان تجسها فلما وضعت يدها عليها وشعرت ببرودة جسمها الهامد اقشعرّ جلدها وظهرت عليها علائم الدهش والاستغراب . واذ ذاك ذكرت لها معلمتها انها هي ايضًا سيصيبها مثل ما اصاب تلك الراهبة فوقع ذلك على ماري اعظم مما وقع عليها امر الشيخوخة واظهرت اشدّ النفار والانقباض فأخذت سنت مرغريت تتلطف في تسكين جأشها وما ثار في نفسها من عوامل الهلع ولكي تخفف عنها اشجانها شرعت تبين لها أنها هي ايضًا ستموت وانها تتلقى هذا الفكر بنفس راضية فلم تجد الفتاة بدًّا من التسليم لانها لم تكن تشك فيما تقولهُ لها معلمتها . ثم انهُ بعد مدة اخترمت المنية راهبة اخرى فصنعت معها معلمتها كما صنعت

في المرة الاولى واذ ذاك علمت ان الموت لم يكن خاصاً بتلك الراهبة وانهُ سيتناول كل واحدة من الراهبات في نوبتها

اما سنت مرغريت فلم تشأ ان تقف ماري عند هذا الحد ولا تدرك من الموت الا ظواهرهُ بل انها احبت ان تعلمها بوجود النفس . ففي ذات يوم ورد على ماري كتاب من والدها ففرحت بهِ فرحاً عظيماً وقبلتهُ مراراً فأخذت مرغريت تسألها هل تحب والدها وهل تحب خالتها واختها الصغيرة فكانت تجيبها كل مرة انها تحبهم كثيراً . فقالت سنت مرغريت وبماذا تحبينهم هل تحبينهم بيديكِ . لا بدون شك وكذلك لا تحبينهم برجليكِ ولكن شيئاً داخل صدركِ هو الذي يحبهم وهو غير الجسد ويسمونهُ النفس. وعند الموت تفترق النفس عن الجسد وهكذا لما ماتت تلك الراهبة التي لمستِ جثتها الباردة فان نفسها التي كانت تحبكِ انتقلت الى مكان آخر وهي تحيا دائماً ولا تزال تحبكِ . وعلى هذا الاسلوب استطاعت ان تولد في ذهن الفتاة معرفة الاشيآء الغير الهيولية ولم يبقَ الا ان تنوّر قلبها بمعرفة العزة الالهية

وكانت سنت مرغريت قد اطلعتها على عدة اشيآء مما يجري حولها فكانت مرةً تأخذ يدها وتدخلها مخبز الدير وتفهمها كيفية العجن والخبز وتارةً تأخذها الى معمل النجار فتجعلها تلمس الاخشاب والادوات التي يصنعها وطوراً تقودها الى مواضع البنائين وتضع يدها على الحجارة والجدران التي يبنونها وتشرح لها كل صنف من المصنوعات وكيفية صنعهِ على قدر ما تستطيع ايصالهُ الى ذهنها

وان ماري كانت في احد الايام الباردة في حديقة الدير فكانت تحب كثيراً ان تتدفأ بحرارة الشمس وتمدّ يديها نحوها كأنها تحاول امساكها واحياناً كانت تحاول التسلق على الشجر لتدنو منها . ورأتها معلمتها كذلك فقالت لها هل تعلمين من صنع الشمس وهل تظنين انهُ النجار . قالت لا ولكن الخباز لانها كانت تشعر بالحرارة عينها عند ما كانت تدنو من الفرن . فقالت لها مرغريت كلا ان الخباز لا يقدر ان يصنع الشمس بل الذي ابدعها هو اكبر من الخباز وهو اكبر من رئيسة الدير واعظم من المطران الذي زار ذاك اليوم الدير. وهو اقدر واعلم من جميع

المخلوقات وليس لهُ جسد ولكنهُ مثل النفس وهو يعرفكِ ويراكِ ويحبكِ كما يعرف ويرى ويحب جميع النـاس واسمهُ الله . وهكذا بذكر درجات الاشخاص الذين تعرفهم ماري استطاعت معلمتها ان تبلغها الى اعلى درجة من هذا السلم وهي درجة العلي بارئ الخليقة

و بعد ذلك ابتدأت تقص عليها سيرة خلقة العالم ووصف الكواكب والقمر مما ليس في طاقتها ان تبصرهُ في هذه الدنيا ولا تشعر بوجودهِ و بالتدريج تعلمت حوادث التاريخ المقدس وكانت ترتاح اليها وتعجب بها اشدّ الاعجاب كما يحدث عادةً لجميع الاولاد

وان سنت مرغريت حرصاً على بقآء الخطة التي جرت عليها في تعليم هذه الابنة التي انتابها الدهر باعظم رزاياهُ دونت كيفية تعليمها في سجل الدير لتبقى محفوظة.غير ان الامر ليس متوقفاً على عرفان الخطة المتبعة ولكن ذلك يقتضي من الارادة والصبر ما لا يقدّر بوصف . وكانت سنت مرغريت تستعين بتلميذة من تلميذات الدير الصم البكم فكانت تساعدها في تعليم ماري الدروس التي كانت تعطيها اياها

وكان كل من نظر الى هذه الفتاة السيئة البخت تتفطر احشآؤهُ حزناً واسفاً ولا سيما اذ يراها ابنةً في سن الخامسة عشرة على جانب عظيم من الجمـال ذات قوام رشيق ووجه وسيم وعينين نجلاوين الا انها فاقدة اهمّ حواسها فهي بالحقيقة حالة تدمي الفؤاد

واستمرّت ماري على تعاطي دروسها وكانت معلمتها ما عدا التعليم المسيحي والتاريخ المقدس اللذين كانت تقرأهما قد شرعت في تدريسها صرف اللغة ونحوها وبواسطة خرائط جغرافية كبيرة مصورة بالرسوم الناتئة على اصطلاح براي كانت تعلمها الجغرافية فكانت ترتاح اليها جدّاً . وعند ما ينتهي وقت مدرستهـا كانت تأخذ بيدها وتأتي بها معمل التلميذات الصم البكم وكنَّ يشتغلنَ بعمل المصنوعات اليدوية التي تدهش النواظر فكانت تتعلم هنـاك صنعة حياكة الجوارب وفي اثنآء العمل كانت تتحدث مع رصيفاتها بتوقيعها الكلمات على اناملهنَّ ويقول راوي هذه

القصة انهُ رأى من شغل يديها شالاً وعدة جوارب

قال وقد رأيت في احدى زوايا ذلك المعمل منظرًا عجبًا فاني رأيت هناك الصديقة الاولى لماري وهي مرتا تلميذة سنت مدول التي ذكرت انها توفيت قبل دخول ماري الدير بسنة وكانت مباشرة في اعداد الجائزة التي كان يراد اهدآؤها لماري في تلك السنة . والى جانبها عجوزٌ شمطآء الشعر صمآء بكمآء تقرأ بعينيها في انجيل صغير باللغة الفرنسوية ثم بواسطة الحروف الاشارية كانت توقع كل جملة تقرأها على يدي مرتا وهذه بعد ان تكرر الجملة على يدي العجوز حذرًا من الغلط تعود فترسم الجملة نفسها رسماً ناتئاً بحسب طريقة براي على كتابٍ ذي صفحات خالية وهو الكتاب الذي كانت تريد ان تهديهُ لماري . فلا جرم ان ذلك ضربٌ من الاملاء الذي لم يسبق لهُ مثيل في الدنيا فالمملية صمآء بكمآء والكاتبة صمآء بكمآء عميآء والمُهدَى لها الكتاب هي ايضاً صمآء بكمآء عميآء (ويا عجبا كم وكم من عندنا من الناس الكاملي الحواس وهم لا يدرون من القرآءة والكتابة امرًا)

ومن غريب ما يرى من المشاهد منظر هاتين الصديقتين اي مرتا وماري حين تشرعان في الحديث فانك تراهما واقفتين احداهما بازآء الاخرى واناملهما تنقبض وتنفتح وتتبادل التوقيع بأسرع من لمعان البرق ووجوههما تنطلق بالبشر مرة بعد اخرى تترجم عن حركات انفسهما وما يخامرها من الوجدان المتبادل . وكانت ماري تحادث بأناملها اكثر رصيفاتها من الصمّ البكم الا انها لم يكن يحلو لها الحديث الامع صديقتها مرتا ومعلمتها سنت مرغريت. وكانت سنت مرغريت في بدء تعليمها لا تلقنها الا الجدّ لكنها اخيرًا ابتدأت تمازحها لانها رأتها تضحك وتنشرح من المزاح وعلى هذا المنوال نقلت سنت مرغريت هذه المخلوقة الغريبة من عالم الجماد الى عالم الانسان . انتهى